(هديُ النَّبيِّ صلى الله عيه وسلم عند الشَّدائد والمِحَن –4–)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبي اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى أله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:7]

وقال تعالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى:52-53].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلُّ أُمَّتي يدخلون الجنة إلا مَن أبى، فقالوا: يا رسولَ الل مَن يأبى؟ قال: مَن أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**» [أخرجه البخاري].

روى أبو نُعيم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً، وأنوَرَهُم لوناً، لم يَصِفْهُ واصفٌ قطّ إلَّا شبَّه وجهَه بالقمَر ليلة البدر، وكان عَرَقُه في وجهه مثل اللؤلؤ وأطيب من المسك الأذفر**).

قال أبو حفص النَّيسابوري رحمه الله: (أحسن ما يَتوسَّل به العبد إلى مولاه: الافتقار إليه، وملازمة السُّنَّة، وطَلَب القُوتِ مِن حِلِّه).

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: (طِرْ إلى الحقِّ عزَّ وجلَّ بجناحَي الكتابِ والسُّنَّة، ادخل عليه ويدك في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، اجعله وزيرَك ومُعلِّمَك).

أيُّها الإخوة:

بمناسبة دخول شهر ربيع الأوَّل شهرِ ولادة سيِّدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم أحببتُ أن أخطب فيكم خطباً أربعاً -هذه خاتمتها-، تتحدَّث عن هدي النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في الشَّدائد والأزمات، لنقتفي أثرَه ولنمشي على هداه، وأحسَن الهدى هديُ محمد صلى الله عليه وسلم، هذا أوَّلاً، ولنكثر من الصَّلاة والسلام عليه ثانياً؛ فإنَّ صلاتَنا معروضة عليه -صلوات ربي وسلامه عليه-.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ مِن أفضل أيامكم يومَ الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصَّلاة فيه، فإنَّ صلاتَكم معروضةٌ عليَّ**» [أخرجه أبو داود والنسائي]

عنوان الخطبة:

(هديُ النَّبيِّ صلَّى الله عيه وسلَّم عند الشَّدائد والمِحَن -4-)

عرضَت الخطب الماضيات لأقوال النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وفعله إذا نزلَتْ به شدَّة، وتعرِضُ خطبة اليوم لهديه صلى الله عليه وسلم عند نزول الفَرَج بعد الشِّدَّة والأزمَة، متفائلين بالفرج من حضرة الله، راجين البَلَجَ ببركة رسول الله، وقد رأينا الكفيف يقول لابنه: يا بني، كيف نحن من الليل؟ فإذا قال له: قد اسودَّ الليل، قال: إذاً قد قرُبَ الفجر.

اشتَدَّي أزمَةُ تَنفرِجي ... قَد آذَنَ لَيلُكِ بِالبلَجِ

وَظَلامُ اللَّيلِ لَهُ سُرُجٌ ... حَتّى يَغشَاهُ أبُو السُّرُجِ

وَسَحَابُ الخَيرِ لَهَا مَطَرٌ ... فَإِذَا جَاءَ الإِبّانُ تَجي

وَفَوائِدُ مَولانا جُمَلٌ ... لِسُرُوحِ الأَنفُسِ والمُهَجِ

صَلوَاتُ اللهِ عَلى المَهدِيِّ ... الهادِي الناسِ إِلى النَّهَجِ

أيها الإخوة:

رأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم إذا فُرِّج عنه بعد ضيقٍ أظهَرَ البِشْرَ والسُّرور، واعترف لله تعالى بفضله ونعمته شكراً وحمداً وثناءً.

ورأيت النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم إذا فُرِّج عنه بعد ضيقٍ داوى ما انْكَلَمَ، وبنى ما انْهَدَمَ، واستأنَفَ العمَل.

وهذان الأمران هما محوَرا خطبة اليوم.

- **أولاً: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فُرِّج عنه بعد ضيقٍ أظهَرَ البِشْرَ والسُّرورَ، واعترف لله تعالى بفضله ونعمته شكراً وحمداً وثناءً:**

يقول أبو بكرة رضي الله عنه: «**كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه أمرُ سُرورٍ، أو بُشِّرَ به، خرَّ ساجداً، شاكراً لله تعالى**». [أخرجه أبو داود والترمذي]

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (**خرجنا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من مكَّة نريدُ المدينة، فلمَّا كُنَّا قريباً من عَزْوَرة –ثنيَّة قربَ المدينة– نزلَ فرفعَ يديه، فدعا الله عزَّ وجلَّ ساعةً، ثمَّ خرَّ ساجداً، ثمَّ مكَثَ طويلاً، ثمَّ قام فرفع يديه فدعَا الله ساعةً، ثم خرَّ ساجداً، قال: «إنِّي سألتُ ربي، وشفَعْتُ لأُمَّتي، فأعطاني ثُلُثَ أُمَّتي، فخرَرتُ ساجداً لربِّي شكراً، ثم رفعتُ رأْسِي، فسألتُ ربي لأمَّتي، فأعطاني ثُلُث أُمَّتي، فخررْتُ لربِّي ساجداً شكراً، ثمَّ رفعتُ رأسي، فسألتُ ربي لأُمتي، فأعطاني الثُلُثَ الآخِر، فخَرَرتُ ساجداً لربِّي**») [أخرجه أبو داود].

وحتَّى لا ينسى النَّاسُ ربَّهم عند الفَرَجِ وانبلاجِ الفَجر ذكَّر الله أصحابَ نبيِّه صلى الله عليه وسلم بعد نصرِ بدرٍ بحالهم قبلَه فقال في سورة الأنفال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:26].

قال قتادة بن دِعَامة السَّدوسي –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: (كان هذا الحيُّ من العرَب أذلَّ النَّاس ذُلَّاً، وأشقاه عَيْشاً، وأجوَعَه بطوناً، وأعراه جلوداً، وأبيَنَه ضلالاً، بين الأسدين فارس والروم، ولا والله ما في بلادهم يومئذٍ من شيء يُحسَدون عليه، من عاش منهم عاش شقيَّاً، ومن مات منهم رُدِّيَ في النَّار، يؤكَلون ولا يَأكُلون،

والله ما نعلَم قَبِيلاً من حاضرِ أهلِ الأرض يومئذٍ كانوا أشرَّ منزلاً منهم، حتَّى جاء الله بالإسلام، فمكَّن به في البلاد، ووسَّع به في الرِّزق، وجعَلهم به ملوكاً على رقاب النَّاس! وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا لله نِعمَه، فإن ربَّكم مُنْعِمٌ يحبُّ الشُّكر، وأهلُ الشُّكرِ في مزيدٍ من الله تعالى) [أخرجه الطبري].

كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا فُرِّج عنه بعد ضيقٍ أظهَرَ البِشْرَ والسُّرورَ، واعترَف لله تعالى بفضلِه ونعمتِه شكراً وحمداً وثناءً، وهذا المحور الأوَّل للخطبة.

- **وأمَّا الثاني: فقد كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا فُرِّجَ عنه بعدَ ضيقٍ داوى ما انْكَلَمَ، وبنى ما انْهَدَمَ، واستأنَف العمل:**

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أسماء بنت عُمَيْس زوجة جعفر -رضي الله عنهما- قالت: (لما أُصيب جعفر وأصحابه - تعني يوم مؤتة- ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ائتني ببني جعفر»**، قالت: فأتيته بهم، فشمَّهم وذرَفَت عيناه، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنتَ وأمّي، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟! قال: **«نعم، أُصِيبوا هذا اليوم»**، قالت: فقمتُ أصيح، واجتمع إليَّ النِّساء، وخرَجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال: **«لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنَعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شُغِلُوا بأمر صاحبهم»**.

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ أمَّ الرُّبيِّع بنت البراء -وهي أمُّ حارثةَ بنِ سُراقة- أتتِ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا نبيَّ الله، ألا تحدِّثُني عن حارثة -وكان قُتِل يوم بدرٍ، أصابَه سهمُ-، فإنْ كان في الجنَّة صَبَرْتُ، وإنْ كان غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء؟ قال: **«يا أمَّ حارثة، إنَّها جِنان في الجنَّة، وإنَّ ابنَك أصابَ الفِرْدَوْسَ الأعلى»**.

ويَذكُرُ أهلُ السِّيَر أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم بعد خروجه إلى الطائف لدعوة أهلِها، وبعد ردِّ أهلها له أسوأ الرَّدِّ، عرَضَ عليه ملك الجبال استئصالَهم بأنْ يُطْبِقَ عليهم الأخشَبَيْن، وعرَضَ عليه زيد بن حارثة رضي الله عنه أن يتابع هجرته بعيداً عن مكة والطائف، فالأولى أخرجَتْه، والثَّانية خَذَلَتْه، لكنَّه صلى الله عليه وسلم قال لملَك الجبال: **«بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابهم مَن يعبد الله وحدَه لا يُشرِك به شيئاً»**. [البخاري ومسلم]، وقال لزيد رضي الله عنه: **«يا زيد، إنَّ الله جاعلٌ لما ترى فرَجاً ومخرَجاً، وإنَّ الله ناصرٌ دينَه ومظهِرٌ نبيَّه»** [ينظر: السيرة الحلبية، والرحيق المختوم]، ومضى صلوات ربي وسلامُه عليه يستأنف العمل..، فبدأ يعرض نفسَه على القبائل؛ يشرح لهم الإسلام، ويطلب منهم الإيواء والنُّصرة، حتَّى يبلِّغ كلامَ الله عز وجل.

يقول المقريزي رحمه الله: (ثمَّ عَرَضَ صلى الله عليه وسلم نفسَه على القبائل أيَّام الموسم، ودعاهم إلى الإسلام، وهم بنو عامر، وغسَّان، وبنو فزارة، وبنو مرَّة، وبنو حنيفة، وبنو سُلَيم، وبنو عبس، وبنو نصر، وثعلبة بن عكابة، وكندة، وكلب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عذرة وقيس بن الخطيم، وأبو اليسر أنس بن أبي رافع)، وقد استقصى الواقدي أخبارَ هذه القبائل قبيلةً قبيلة.

وتذكرون -أيها الإخوة- وصولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ بعد إيذاءٍ طويلٍ من أهل مكَّة له ولأصحابه، وبعد عناءٍ مريرٍ عاناه.. وعاناه معه المسلمون، وها قد جاء فَرَجُ الهجرة وصار للإسلام دارٌ ودولة، فماذا فَعَل النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذا الفَرَجِ؟

أقام المسجد، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وبنى المدينة المنوَّرة، واستأنف العمل..؛ في كلِّ يوم درسٌ، وفي كلِّ ساعةٍ بَذْلٌ، وفي كلِّ لحظةٍ بِرٌّ.

وهكذا المسلم.. إذا وقَعَ ارتفَع، وإذا سقَطَ قام، وإذا ضاقَ أمرُه ثمَّ اتَّسَع استأنَفَ العمل.

أيها الإخوة:

رأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم إذا فُرِّج عنه بعد ضيقٍ أظهَرَ البِشْرَ والسُّرور، واعترَفَ لله تعالى بفضلِه ونعمتِه، شكراً وحمداً وثناءً.

ورأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم إذا فُرِّج عنه بعد ضيقٍ داوى ما أنْكَلَمَ، وبنى ما انْهَدَمَ، واستأنَفَ العَمَل.

كتبت مرَّة على صفحة التَّواصل الاجتماعي أقول:

(لأنَّ بعدَ العسر يسراً، ولأنَّ الخِنَاق إذا ضاقَ انقطَع، ولأنَّ الله لايترك عباده المؤمنين.. ستصبحون يوماً لترقُبوا فجْرَ الفَرَج، ماذا ستقولون في تلك الصَّبيحة؟)

فكتب المشاركون كلُّهم يحمدون الله ويشكرونه ويسجدون له شكراً، أو يبكون متلعثمين بين يديه، وكتب أحدهم يقول: (كلُّ مِحنة تزيد مَكِنة، وبلاد الشَّام بلاد الأنبياء والعلماء، ستَخرُج بثوب المَكِنة عن قريب من هذه المِحنة.. بإذن الله).

تُرى، بعدما سمعتم هديَه -صلى الله عليه وسلم- عند نزولِ الفَرَج بعد الشِّدَّة، فماذا ستقولون أنتم في يوم الفَرَجِ، وماذا ستفعلون؟

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾

والحمد لله رب العالمين